لفظة الجاهل والجاهلون في السياق القرآني (دراسة موضوعية)

د. محمد حازم محمود العبيدي *

ملخص البحث

يبين هذا البحث كيف أن موضوع الجهل من المواضيع التي أخذت حظا وافرا ونصيبا واسعا من جهود علمائنا المتقدمين منهم والمتأخرين، وحظي باهتمام كبير ، فقد تم دراسته دراسة عميقة من قبل علماء أمتنا وأئمتها في العلوم الأصلية الأساسية، فإذا كان أهل اللغة قد اعتنوا بالجهل عناية محكمة فإن أهل التفسير قد جاروهم إن لم نقل سبقوهم فيه، فضلاً عن علماء الحديث والفقه ، لذلك ارتأيت كتابة هذا البحث الذي يتناول لفظة (الجاهل والجاهلون) من رؤية تفسيرية مع الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تخص به.

Abstract

This research shows how the topic of ignorance is one of the topics that have received ample luck and a wide share of the efforts of our scholars, both advanced and backward, and received great attention. It has been deeply studied by the scholars and imams of our nation in the basic original sciences. If the people of the language had taken care of ignorance carefully, then the people of tafsir would have compared them if they had not quoted their predecessors in it, as well as scholars of hadith and jurisprudence, so I decided to write this veseavch in the term ignorant and ignorants from seeing interpretive with citing the Quranic verses that pertain to it.

* ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية / ثانوية الحدباء الإسلامية

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده وآله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين،وبعد: فإن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب الكريم، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، عُنِيَ المسلمون منذ فجر الإسلام، وانبثاق نور الهداية الإلهية على ربوع العالم، بالقرآن الكريم مصدر تلك الهداية، ومنبع ذلك الإشراق، عنايةً كبرى شمِلت جميع نواحيه، وأحاطت بكل ما يتصل به، وكان لها آثارها المباركة الطيبة في حياة الإنسان عامّة، والمسلمين خاصّة، لذلك ارتايت الكتابة في موضوع لفظة (الجاهل والجاهلون) من رؤية تفسيرية مع الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تختص بلفظ الجاهل والجاهلون فقط، وسميت البحث:

لفظة الجاهل والجاهلون في السياق القرآني ... دراسة موضوعية

تضمن البحث بعد المقدمة مطالب عدة:

المطلب الأول: دلالة كلمة الجهل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الموارد القرآنية للفظ الجاهل ومعناه.

المطلب الثالث: الموارد القرآنية للفظ (الجاهلون) ومعناه.

أ- إخوة يوسف لتأمرهم عليه

ب- السفهاء في السلوك.

ج- المشركون بالله

ثم ختمت بحثي بالخاتمة وشملت على أبرز ما توصلت عليه.

راجياً رب الأرباب أن يطلق لي المثوبة ويجزل لي عطاياه وأن يقيدني عن كل عمل لا يرضاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول

دلالة كلمة الجهل لغة واصطلاحاً

لابد لنا قبل البدء بالكلام عن لفظة الجاهل والجاهلون في السياق القرآني، أن نعرف معنى الجهل لكي نستطيع أن نفهم من هو الجاهل، وفي أي معنى أتى الجاهل بجهله:-

= الجهل لغةً :الجهل نقيض العلم، تقول: جهل فلان حق فلان، وجَهِل فلان عليَّ، وجهل بهذا الأَمر، والجهالة : أن يفعل فعلاً بغير علم(١).

وورد للجهل أصل آخر، وهو الخِفة وخلاف الطمأنينة، قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمرُ مِجْهَل، ويقال إستجهلت الريح الغصن، إذا حركته فاضطرب، ومنه قول النابغة:

دعاكَ الهوَى ، واستَجهلَتكَ المنازِلُ ** وكيفَ تَصابي المرء، والشّيبُ شاملُ(٢)

ومعنى استجهلتك المنازل: استخفتك واستفزتك(٣).

= الجهل اصطلاحاً:

ينقسم الجهل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل، وجعله بعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام، كما جُعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام(٤).

القسم الثاني: إعتقاد الشيء بخلاف ماهو عليه(٥).

أما القسم الثالث: فهو فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواءً أعتقد فيه إعتقاداً صحيحاً أم فاسداً، مثال ذلك: كمن يترك الصلاة متعمداً، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾(٦)، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٧) ، فجعل فعل الهزو جهلاً، وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(٨) ، ويذكر الجاهل على سبيل الذم، وهو الاكثر، ويأتي تارة لا سبيل الذم، نحو قوله

تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾(٩)، أي من لا يعرف حالهم، وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم(١٠).

وأورد السمين الحلبي في عمدة الحفاظ معنى آخر للجهل، قال: (الجهل ضربان بسيط ومركب، وأقبحهما الثاني لأن صاحبه يجهل ويجهل إنه يجهل، وجَهَّلْتُه: نسبته إلى الجهل، وأسْتَجْهلتُه: وجدته جاهلاً، وأجْهَلتُه: جعلته جاهلاً، وأستجهَلْتُه: حملتُه على الجهل أيضاً) (١١).

نستنتج من هذا كله أن الجهل يكون:

في الاعتقاد إذا كان الجهل مقابلاً للعلم.

وإن كان في التصرف والسلوك جاء بمعنى الخفة والطيش وعدم الطمأنينة والاضطراب(١٢) .

المطلب الثاني

الموارد القرآنية للفظ الجاهل ومعناه

الجاهل: عدم العلم بالشيء(عدم العلم بفقراء المسلمين) :

ورد اسم الفاعل من جَهِلَ بصيغة المفرد مرة واحدة في القرآن الكريم.

قال تعالى حاكياً حال الفقراء المستحقين للصدقة، في سورة البقرة: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(١٣) .

نزلت هذه الآية في فقراء المهاجرين، وكانوا نحو أربعمائة، لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة، هم أصحاب الصفة، وكانوا ملازمين المسجد ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة، وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بصفات خمس:

الصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، والإحصار في اللغة: أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين سفره من مرض وكبر أو عدو أو ذهاب نفقة(١٤)، فهؤلاء الفقراء أحصروا أنفسهم ووقفوها على الجهاد، وتركوا الخروج للتجارة والمعاش والكسب، لأن الجهاد كان واجباً في

ذلك الزمان، وكانت تشتد الحاجة إلى من يحبس نفسه للمجاهدة مع الرسول ﷺ، فيكون مستعداً لذلك متى دعت الحاجة، فبين سبحانه وتعالى في هؤلاء الفقراء أنهم بهذه الصفة، ومن هذا حاله يكون وضع الصدقة فيهم يفيد وجوهاً من الخير:

إزالة علتهم.

تقوية قلبهم لما انتصبوا إليه.

تقوية الإسلام بتقوية المجاهدين.

أنهم كانوا محتاجين جداً مع أنهم كانوا لا يظهرون حاجتهم(١٥).

الصفة الثانية لهؤلاء الفقراء، قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾. والضرب في الأرض هو السير فيها، وعدم إستطاعتهم إما أن يكون لإنشغالهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد، يمنعهم من الاشتغال بالكسب والتجارة فهم أشد حاجة إلى من يكون معيناً لهم على مهماتهم(١٦).

الصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾:الحسبان هو الظن، فيحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف، لإظهار التجمل وتركهم المسألة والطلب، وقصد بالجاهل الذي هو ضد الاختيار وليس ضد العقل(١٧)، وذكر صاحب تفسير اللباب في علوم الكتاب وهو أن لعباد الله المخلصين هيبة ووقعاً في قلوب الخلق، كل من رآهم تأثر منهم، وتواضع لهم؛ وذلك من خلال إدراكاتٌ روحانيةٌ ، لا علاتٌ جسمانيةٌ ؛ ألا ترى أنَّ الأسد إذا مرَّ هابته جميع السباع بطباعها ، لا بالتجربة ؛ لأن الظاهر أن تلك التجربة ما وقعت، وكذلك البازي ، إذا طار فرّت منه الطيور الضَّعيفة ، وكل ذلك إدراكاتٌ روحانية، لا جسمانية فكذا ها هنا ، روي أنهم كانوا يقومون الليل ، للتهجّد ، ويحتطبون بالنهار؛ للتعفف(١٨).

الصفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ : السيما والسيميا العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصلها من السمة التي هي العلامة(١٩)، وعلامتهم هي رثاثة ثيابهم، والجوع خفي على الناس، ولم تستطع الثياب التي يخرجون فيها أن تخفى على الناس وتدرك علامات الحاجة وآثار الضر في الإنسان، ويعلم أنها من الحاجة والضر بالمعاينة دون الوصف، فمثلا قد يلبس الغني ذو المال

الكثير الثياب الرثة فيتزين بزي أهل الحاجة، فلا يكون في شيء من ذلك دلالة بالصفة على أن الموصوف به مختلٌ ذو فاقة(٢٠).

الصفة الخامسة لهؤلاء الفقراء: قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ :"وصفهم سبحانه وتعالى بأنهم لا يسألون الناس إلحافا، وذلك؛ لأنه تعالى وصفهم قبل ذلك بأنهم يتعففون عن السؤال والطلب من الغير، وإذا علم أنهم لا يسألون البته فقد علم أيضاً أنهم لا يسألون إلحافاً، بل المراد التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس إلحافاً" (٢١).

نستنتج من هذا كله، أن الجاهل هنا غير مذموم، أي من لا يعرف حالهم، وليس المقصود به المتخصص بالجهل المذموم(٢٢)، وإنما أراد الجهل الذي هو ضد الاختبار، أي: يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف لا غنى بالمال(٢٣)، وإذا كان الجاهل هما غير الخبير وغير العارف، فإن الآية الكريمة أرشدته إلى ما يزيل جهله، ودلته على وسيلة يتعرف بها على حقيقة حاجة المتعففين بسيماهم، إنها التعمق بالنظر إليهم والفراسة البصيرة في معرفتهم بسيماهم، وتوظيف ملامحهم التي يجتهدون في إخفائها لكنها تخونهم، فتبدد في حركة أو إشارة أو هيئة، تكشف عن مدى حاجتهم(٢٤)، فالجهل في مقابل المعرفة، والمعرفة هي التي تزيل الجهل، والسمة في مقابل التعفف، فالتعفف سبب الجهل بهم، والسمة الكاشفة سببت المعرفة بهم(٢٥).

المطلب الثالث

الموارد القرآنية للفظ الجاهلون ومعناه

ورد اسم الفاعل من جَهِلَ بصيغة الجماعة في حالة الرفع ثلاث مرات في القرآن الكريم.

إخوة يوسف لتأمرهم عليه :

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٢٦)

لقد أخبرنا القرآن أن إخوة يوسف حسدوه لما رأوا شدة محبة يعقوب عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ليوسف ويتضح لنا هذا المعنى من كلام يعقوب عليه السلام، حينما رأى الأمارات الكثيرة، فلما ذكر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا، وكان تأويلها أن إخوته وأبويه يخضعون له، فقال لا تخبرهم برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها فيكيدوا لك كيدا(٢٧).

فلما أظهر إخوته العداوة الشديدة، وانطلقوا به إلى الجب يدلونه فيه، وبين سبحانه وتعالى كيف سهل السبيل في خلاص يوسف من تلك المحنة والشدة، فجاء قوم يسيرون من مدين إلى مصر، فأخطؤا الطريق فانطقوا يهيمون على غير طريق، فهبطوا على أرض فيها جب يوسف عليه السلام، فأرسلوا واردهم الذي يرد الماء ليسقي القوم، فلما أدلى دلوه وكان يوسف عليه السلام في ناحية قعر البئر تعلق بالحبل، فنظر الوارد إليه ورأى حسنه نادى يابشرى هذا غلام، وأسروه بضاعة مع القافلة وباعوه رقيقاً في مصر، ثم تمادت وقائعه وتتابع الأمر إلى أن صار ملك مصر(٢٨).

ولما دخل إخوة يوسف عليه، قالوا له أصابنا وأهلنا الضر من الجوع والحاجة، وقد جئنا ببضاعة مزجاة، وهي البضاعة التي تدفع ولا يقبلها كل أحد(٢٩) ، فلما قَدَّم يوسف عليه السلام نفسه إلى إخوته، ذكرهم بموقفهم السابق منه وجهلهم، وفيه إشارة إنهم كانوا صغاراً في وقت أخذهم ليوسف غير أنبياء؛ لأنه لا يوصف بالجهل إلا من كانت هذه صفته(٣٠).

فكلمهم يوسف عليه السلام مستفهماً عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب؛ لأن علم القبح يدعو إلى الإستقباح، والإستقباح يجر إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين، لا معاتباً وتثريباً، إيثاراً لحق الله تعالى على حق نفسه(٣١).

ونقف هنا أمام وصف يوسف عليه السلام إخوته بالجهل:

كان جهلهم جهل سفه وخفة وطيش، وليس جهلاً ناتجاً عن عدم علم ومعرفة، لأنهم كانوا صغاراً لم يبلغوا، أوان الحلم والرزانة(٣٢)، ولم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء، ولكنهم لما فعلوا مالا يقتضيه العلم، وتقدم عليه إلا جاهل(٣٣)، فقد كانوا يعلمون أن يوسف أخوهم الصغير، وأنهم

مطالبون بحمايته، وأنه لا يجوز أن يتأمروا عليه، ولا أن يضعوه في البئر، ولا أن يكذبوا على أبيهم النبي يعقوب عليه السلام، كانوا يعلمون هذا وغيره ولا يجهلونه، ومع هذا خالفوا علمهم، بكل هذا وتصرّفوا بجهل وسفه وطيش، وفعلوا ما فعلوا(٣٤)

وكان جهل إخوة يوسف عليه السلام بما يجب من بر الاب، وصلة الرحم وترك الهوى، أو بما يؤول إليه أمر يوسف عليه السلام(٣٥).

عُبر بلفظ جهلهم بصيغة الماضي، بقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، وإذ ظرف لما مضى من الزمان، وكأن يوسف عليه السلام يلحظ ويرى زوال جهل الخفة والطيش عنهم، فهم الآن واقفون أمامه، ومرّ على جريمتهم السابقة سنوات عديدة، وهذه السنوات قد أنضجتهم وما حملته من أحداث وتجارب، ومالت شخصياتهم إلى الإتزان والموضوعية والعقلانية(٣٦).

السفهاء في السلوك :

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرض هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٣٧)

تتناول هذه الأية الكريمة عن صفتين من صفات عباد الرحمن، الذين هم أفاضل العباد، وخصوا بهذه الإضافة للتخصيص والتفضيل:

فالصفة الأولى: أنهم يمشون على الأرض هوناً، أي: السكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا متكبرين، أصحاب عفه لا يسفهون وإن سفه عليهم(٣٨).

الصفة الثانية: إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، لا يقابلون سفه الجهال بمثله، وإنما قابلوه بحلمهم وعفوهم، وبقولهم سلاماً ونتسلم منكم تسلماً، فأقيم السلام مقام التسلم، والمراد بالجهل هنا، هو السفه وقلة الادب، وترك المقابلة بالمثل مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة، وأسلم للعرض والورع(٣٩).

ولهذا سماهم الله تعالى جاهلين، وعباد الرحمن لا ينزلون إلى مستوى هؤلاء الجاهلين الهابط ولا يعاملونهم بالمثل، بهذه القيم والأخلاقيات الفاضلة يتركون الجاهلين مع جهلهم، ويغادرون الميدان،

محتفظين بحلمهم وإتزانهم ووقارهم، ولا يزيدون على أن يقولوا للجاهلين سلاماً، أي: نترككم مع جهلكم، ونغادركم بسلام ونحرص على أن يسلم لنا حلمنا ووقارنا(٤٠).

ونرى في هذه الأية طرفين، طرف عباد الرحمن المتصفين بالحلم والوقار والإتزان، وطرف المعتدين المتصفين بالجهل والخفة والطيش والعدوان(٤١).

كل ذلك إن دلّ على شيء دلّ على قوة الإيمان الذي يحمله طرف عباد الرحمن في ترفعهم عن جهل الجاهلين.

ج- المشركون بالله

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾ (٤٢)

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمات، أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره وله خزائن السموات والأرض، وأن المشركين بجهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه آلهة(٤٣)، ولما كان الأمر بعبادة غير الله تعالى لا يصدر إلا من غبي جاهل، نادهم بالوصف الذي يليق بهم، وبجهلهم هذا وعدم معرفتهم، ما قدروا عظمة الله تعالى في أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به سبحانه وتعالى، ثم بين الله سبحانه في الآيات التي تليها عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتخير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته، وفيها دلالة على أن تخريب العالم أهون عليه(٤٤).

ونقف هنا أمام لفظة (الجاهلون) التي وردت في سياق الآيات الكريمات:

تم وصفهم بالجهل لإنه تقدم وصف الإله بكونه خالقاً للأشياء، وبكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض، وظاهر كون هذه الاصنام جمادات أنها لا تضر ولا تنفع، ومن أعرض عن عبادة الإله

الموصوف، بتلك الصفات الشريفة المقدسة، وأشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه(٤٥).

هناك فريقان في الآيات الواردة، فريق العابدون لله تعالى ويمثلهم رسول الله ﷺ وهم عالمون عالقون فائزون ناحجون، والفريق الآخر هم المشركون بالله تعالى جاهلون عابدون لغير الله ولهذا أعمالهم حابطة وحياتهم خاسرة.

المراد بالجهل الذي وصف به المشركون هنا الجهل المقابل للعلم، إذ أنهم جهلوا حقيقة الالوهية؛ لأنهم جهلوا دلالة الدلائل المتقدمة، فلم تفد منهم شيئا فعموا عن دلائل الوحدانية التي هي بمرأى منهم ومسمع، فجهلوا دلالتها على الصانع الواحد ولم يكفهم هذا الحظ من الجهل حتى تدلوا إلى حضيض عبادة أجسام من الصخر الأصم، وإطلاق الجهل على ضد العلم إطلاق عربي قديم(٤٦).

إن جهل الكفار المقابل للعلم عند المؤمنين، أدى إلى الخفة والسفاهة العقلية عندهم لأنهم جعلوا الأصنام آلهة، وأدى الطيش والخفة في التصرفات حيث عبدوا غير الله.

دلت الآيات الكريمات هؤلاء المشركين الجاهلين على وسيلة إزلة الجهل، والتحقق بالعلم، وذلك عن طريق النظر في الآيات والبراهين من حولهم التي تدل على وحدانية الله تعالى، وتنفي مشاركة غيره معه(٤٧).

الخاتمة

بعد الإنتهاء ـ بحمد لله تعالى وفضله ـ من دراسة لفظة الجهل والجاهلون في السياق القرآني نقف عند أبرز ماجاء به البحث :.

۞ (الجاهلون) اسم فاعل بصغية جمع المذكر السالم المرفوع، ورد ثلاث مرات:

١. إذ انتم جاهلون: خبر.

٢. خاطبهم الجاهلون: فاعل.

٣. أيها الجاهلون: منادى مبني؛ لأنه ليس مضافاً.

۞ الجاهلون في المرات الثلاثة تقرير لحقيقة، وهي وصف هؤلاء بالجهل، وبما أن الموصوفين بالجهل جماعة، كان جهلهم جماعياً.

۞ الجاهلون في المرات الثلاث في سياق الذم، وهم مذمومون ملومون على جهلهم، غير معذورين فيه.

۞ كان جهل الجاهلين جهل معصية وذنب، يزول بالتوبة، كجهل إخوة يوسف في تآمرهم عليه، وأحياناً كان جهلهم جهل سفه في المعاملة والمخاطبة والسلوك والتعامل، وأحياناً كان جهلهم جهل شرك وكفر بالله.

۞ ورود الوصف المناقض للجهل والجاهلية، وهو العلم.

الهوامش

١) ينظر: تهذيب اللغة: مادة جهل، ٣٧/٦، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ومعجم مقاييس اللغة: مادة جهل، ٤٨٩/١، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢) ديوان النابغة: ١٥٢، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

٣) معجم مقاييس اللغة: مادة جهل، ٤٩٠/١.

(٤) ينظر: المفردات الراغب الاصفهاني، ٢٠٩، المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة، مكان النشر لبنان.

٥) ينظر: المصدر نفسه.

٦) سورة البقرة: آية ٢٣٨.

٧) سورة البقرة: آية ٦٧.

٨) سورة الحجرات: آية ٦.

٩) سورة البقرة: آية ٢٧٣.

١٠) ينظر: المفردات الراغب الاصفهاني، ٢٠٩.

[11] ( ) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ٣٥٣/١-٣٥٤، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، احمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

[12] (١٢) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ١٠٣، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع.

[13] ١٣) آية ٢٧٣. ١٣(

[14] ١٤)ينظر: الكليات، ٦٣، الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

[15] (١٥) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٠٣٢/١، مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، وتفسير القرآن للسمعاني،٢٧٧/١، تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، سنة الولادة ٤٢٦هـ/ سنة الوفاة ٤٨٩هـ، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، سنة النشر ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، مكان النشر السعودية، وتفسير الخازن، ٢٩٤/١، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت / لبنان، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م.

[16] (١٦) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٠٣٢/١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٩١/١، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم- الدار الشامية،١٩٩٥، الطبعة الأولى.

[17] (١٧) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٠٣٣/١، وتفسير روح البيان ، ٤١٦/١، تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربى.

([١٨]) ينظر: ٢٧٩/٢، اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م.

([١٩]) ينظر: لسان العرب، سوم ٣١٤/١٢، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

([٢٠]) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٩٧/٥، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

(٢١) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٠٣٣/١، واللباب في علوم الكتاب، ٤٤١/٤. [٢١]

(٢٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ١٠٢. [٢٢]

(٢٣) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٠٣٣/١، واللباب في علوم الكتاب، ٤٣٥/٤. [٢٣]

(٢٤) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، ١٢٣. [٢٤]

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه، ١٢٤. [٢٥]

(٢٦) سورة يوسف: الأية ٨٨– ٩٢. [٢٦]

(٢٧) ينظر: مفاتيح الغيب، ٤٢١/١٨، وزاد المسير في علم التفسير، ١٨٠/٤، زاد المسير في علم [٢٧] التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤.

([٢٨]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٤٢٨/١٨–٤٣٤، وبحر العلوم، ١٨٢/٢–١٨٣، بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

(٢٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٣/٩، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد [٢٩] بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، المحقق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٣٠) ينظر: المصدر نفسه ٩/ ٢٥٦. ٣٠

٣١ ( ) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤٧٢/٢، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٢) ينظر: المصدر نفسه، و التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ١٢٥. ٣٢ (

٣٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ٣٣٦/٥، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن [٣٣] (يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣٤) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ١٢٥. [٣٤] (

٣٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ٣٣٧/٥. [٣٥] (

٣٦) ينظر: الجامع لاحكام القرآن، ٢٥٦/٩، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ١٢٥. [٣٦] (

٣٧) سورة الفرقان: الأية ٦٣. [٣٧] (

٣٨ ( ) ينظر: معالم التنزيل، ٩٣/٦، معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، والكشاف في حقائق التنزيل، ٢٩٦/٣ .

٣٩) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٢٩٧/٣. [٣٩] (

٤٠) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ١٢٧. [٤٠] (

٤١) ينظر: المصدر نفسه. [٤١] (

٤٢) سورة الزمر: الأيات ٦٢-٦٦. [٤٢] (

٤٣) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ١٢٧. [٤٣] (

٤٤) ينظر: تفسير البيضاوي، ٧٧/١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد [٤٤] (عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

٤٥) ينظر: مفاتيح الغيب، ٤٧٩/٢٧. ٤٥ (

٤٦) التحرير والتنوير، ٥٧/٢٤، التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون ٤٦ (للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

٤٧) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ١٢٩. [٤٧]